

شذى الشعر، حبيب الزيودي نموذجاً

The Scent of Habib Zuyudi Poetry

د/ عبد الله الشرفات،

وزارة التربية والتعليم، جامعة جدارا- الأردن

Jaad_karam@yahoo.com

و.أ.د/ محمود الديكي،

أستاذ في اللسانيات التطبيقية، جامعة آل البيت-الأردن

mmdeeky@hotmail.com

تاريخ النشر: 2024-06-30

تاريخ القبول: 2024-05-09

تاريخ الإرسال: 2024-03-19

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على الأبعاد الدلالية والفنية للألفاظ والتراكيب والعبارات المتصلة بالطيب، أي العطر والشذى والروائح الزكية، في شعر حبيب الزيودي، وفق مقاربات النص الشعري المعاصرة، وقيم الشعرية الحديثة، التي يأتي الوقوف فيها على مكونات جمالية لم تكن تلفت انتباه الناظرين في النص الأدبي إلا لماماً، بغية الكشف عن ظاهرة بينة في شعر حبيب الزيودي، ذلك برصد ألفاظ الطيب في شعره، والوقوف على الأبعاد الدلالية والرمزية والفكرية التي حملتها هذه الألفاظ، ورؤى الشاعر والمكونات النفسية الرئيسة التي كشفت عنها، والأثر الفني لتوظيف المفردات المتصلة بحاسة الشم في تعميق هذه الرؤى وتكثيفها وإبرازها، والوقوف كذلك على التشكيل الفني والقوالب التي اندرجت تحتها هذه المفردات، بالعودة إلى الأعمال الكاملة لشعر حبيب "راهب العالوك"، وأشعاره المغناة وقد استوجب الموضوع الوقوف قبلاً على مفردتي الطيب والعطر لغة، والطيب في الثقافات المختلفة قديماً وحديثاً، والطيب في الأدب عموماً، وتقاطعات التوظيف لألفاظ الطيب في شعره.

كلمات مفتاح: رائحة طيبة، الشعر الأردني، حبيب الزيودي.

Research Summary:

The research aims to identify the semantic of words and structures and phrases related to the perfume in Habib Zuyudi poetry, according to contemporary researchers point of view, and the values of modern poetic, by study the complete works of Habibs poet (*rāhib akāluk*) (Monk of *akāluk*) This is done by observing Sweet scents words in his poetry, and examining the semantic, symbolic and intellectual dimensions that these words carried, the poet's visions and the main psychological components that were revealed, and the artistic impact of employing vocabulary related to the sense of smell in deepening, intensifying and highlighting these visions, as well as examining the artistic composition. And the templates under which these vocabulary fell, by going back to the complete works of Habib's poetry, "The Monk of Alouk", and his sung poems. in his hair.

Keywords: Good smells, Jordanian poetry, Habib al-Zeyoudi

تقديم:

من الثابت أن اهتمام الإنسان بالعطور موغل بالقدم، وإن كانت بداية هذا الاهتمام غير محددة، ويبدو أن اهتمامه بالعطر قد بدأ بجمع الأزهار والأوراق والثمار والبذور، إلى أن اكتشف مصادر العطر في العود والصمغ وبعض الحيوانات. ثم إنه استنبت فيما بعد بعضاً من ذلك عن طريق الزراعة بعد أن اهتدى إلى مبادئ التقطير. ثم أصبح للعطور وظيفة دينية لدى معظم شعوب الشرق القديم، ويستهلك القسم الأكبر منها في الاحتفالات الدينية، فتطيب الموتى عند دفنهم أو تحنيطهم، بالإضافة إلى بعدها المتصل بما هو دنيوي، ويظهر من المصادر التاريخية تراجع

الاستعمال الديني للطور و بروز الجانب المتصل بالعبادات وإقامة الشعائر والطقوس في العصور الوسطى⁽¹⁾.

ثمة من يرى أن الفراعنة أول من اكتشف سحر الطور ومعانيها، فصناعة الطور ترجع في بداياتها الأولى إلى قدماء المصريين الذين استخدموا الزيوت الطيارة في الاحتفالات الدينية عن طريق عصر و سلق الأخشاب والنباتات والأزهار ثم استخدموا التقطير والحرق، وكان قدماء المصريين يحنطون به موتاهم⁽²⁾.

ولشدة اهتمام العرب بالتطيب أفردوا لكل نوع أسماء بعينها ، وفصلوا في أنواعه وأسمائه تفصيلا يشك أن تجد له نظيرا في لغة غير العربية، وانعكس ذلك الاهتمام على أسماء كتبهم كما في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب⁽³⁾.

وصُنفوا فيه كتباً، كما في كتاب "المحب والمحبوب والمشموم والمشروب " للسري الرقاء⁽⁴⁾.

وتذكر المصادر التاريخية حلف المطيّين، وهو حلف عقده بنو عبد مناف مع بني أسد وزهرة وتيم لانتزاع ما في أيدي بني عبد الدار من الحجابة والرفادة والسقاية في الكعبة، فاخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها لأحلافهم عند الكعبة، فغمس القوم أيديهم فيها وتعاهدوا، ثم مسحوا الكعبة بالأيدي المطيبة توكيدا فسمّوا المطيّين⁽⁵⁾.

لقد شاع التطيب في الأسواق العربية وكان له بعد طقسي قداسي، إذا انغمست به الأيدي عند التحالف، وحمل كذلك معنى التكريم، حيث كانت النساء ترش به الفرسان عند المعارك، والتصاق العطر بالمعاني السامية والمناسبات الهائلة

والصفات الفضلى لا يمنع أنه في بعض الأحيان كان رمزاً للشؤم، فقد اتصل عطر منشم بمعاني الشؤم حتى ذكر في شعر العرب القدماء في أكثر من موضع⁽⁶⁾.

حاسة الشم بين الحواس:

الحواس هي أدوات العقل البشري في إدخال المعلومات، السمع أولها وآخرها، تبدأ مع الإنسان وهو جنين، وهو أوسعها، وليس بأوثقها غير أنه أهمها في إدراك المعلومات، حتى الذي يأخذ معلوماته بالقراءة سمع قبل أن يقرأ، فتعلم أولاً بالسمع ألف باء، فالسمع أولاً في التعلم، ولهذا تقدم في قوله تعالى على البصر والفؤاد { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً } [الإسراء: 36] ويستطيع الإنسان أن يميز ترددات محددة للصوت بالترددات الصوتية أو الترددات المسموعة توصفها بأنها اهتزاز دوري تردده مسموع بالنسبة للإنسان العادي. والمعيار المقبول عموماً للترددات المسموعة هو من 20 إلى 20,000 هرتز. ونحن نشعر بالترددات الأقل من 20 هرتز ولكن لا نسمعها، على افتراض أن اتساع الاهتزاز عالي بما فيه الكفاية. ويمكن للشباب أحياناً الإحساس بالترددات فوق 20,000 هرتز، ولكن الترددات العالية تسبب فقدان السمع. وهذا طيف واسع من الأصوات، لكن اللغة، أي لغة، تقف عند حدود في وصف الأصوات علواً وانخفاضاً، ثم تلجأ إلى التوليد الدلالي في اجترار أوصاف للتعبير عن إدراك الأصوات، فتقول العربية: صوت أجش وناعم وخشن وحاد، وصوت نحاسي ومخملجي وجبلي .. وليس واحداً من أوصاف الأصوات إلا ومقترض من حقل آخر.

أما حاسة الإبصار فيتصل بها تمييز الأحجام والألوان، فيميز العقل البشري طيفا واسعا من الألوان، خصص للألوان الأساسية أوصافا محدودة لا تختلف باختلاف اللغات والثقافات إلا قليلا، ثم ولدت اللغات لطيف واسع من الألوان أوصافا من حقول دلالية أخرى، أوسعها استعمالا حقل النبات، وصرنا نسمع أوصافا من قبيل (ألوان باردة) و(ألوان حارة) وغيرها.

أما ما يتعلق بحاسة الشم فمرتبطة ارتباطا وثيقا بحاسة الذوق

ويمكن للإنسان تحديد الروائح المختلفة عن طريق خلايا استقبال الشم التي تقع في الأنف وتنقل هذه الروائح إلى الدماغ. ومع أن عدد الروائح التي يمكن للأنف الإنسان تمييزها كبيرة جدا، إلا أنها تقل عددا مقارنة مع قدرات حاسة الشم لدى الكلاب، الأمر الذي يمكن الاستفادة منه في اقتفاء أثر المجرمين أو الكشف عن مواد غير قانونية أو استخدام هذه الكلاب في عمليات الإغاثة والبحث عن المفقودين. بالإضافة لذلك فبإمكان الحيوان والإنسان كذلك من استشعار الخطر بالاستعانة بحاسة الشم.

تأثير حاسة الشم على حياة الإنسان

وترتبط عاطفة الإنسان وسلوكياته بحاسة الشم، وبما أن مركز الشم جزء من نظام في الدماغ البشري فهو يتحكم في الذاكرة والعواطف والمزاج إضافة إلى استشعار الخطر بالاستعانة بحاسة الشم. ويقول الباحث في حاسة الشم هانس هات أن هناك تفاعل قوي بين حاسة الشم والعاطفة: "عندما تؤدي روائح مميزة إلى تفعيل ذكريات عاطفية معينة فهذا يكون الحديث عن ما يسمى بتأثير بروسست". ويرى هات أن

استرجاع ذكريات أو لحظات معينة في الحياة عن طريق حاسة الشم أمر وارد في حياة الإنسان مهما ابتعد زمنيا عن هذا الحدث. فمن اللحظة الأولى التي يولد فيها الإنسان تقريبا، تكون حاسة الشم ملازمة له، ويكون قادرا على التعرف على رائحة حليب أمه ابتداء من اليوم الأول ويظهر الاشتئزاز على وجهه إذا استنشق رائحة كريهة.

تلعب حاسة الشم دورا مهما في القدرة على التذوق ويستعين الإنسان بحاسة الشم في تلذذ الطعام قبل تناوله لأن قوة حاسة الشم تتفوق في حساسيتها على حاسة التذوق. "حاسة الشم حاسمة أثناء تناول الطعام"، كما يقول الباحث توماس هومل من مستشفى جامعة دريسدن الألمانية. ويضيف: "عندما نتناول وجبة المكرونة أو طبق الراتاتوي أو وجبة الغراتان بالبطاطس فإن 80 في المائة من عملية التذوق نحصل عليها عن طريق حاسة الشم". فاللسان يميز بين الحلو والحامض والمالح والمر لا أكثر وعندما نأكل شيئا يجب علينا أن نقول: "رائحة الطعام طيبة عوض القول أن الطعام لذيذ" حسب رأي الباحث توماس هومل.

ويستعين الإنسان بحاسة الشم، بشكل غير مباشر، في الاقتراب من شريك حياته، إذ أن حاسة الشم تلعب دورا كبيرا في الانجذاب بين المحبين. فكل شخص له رائحة خاصة به يفرزها جلده، والرائحة التي يفرزها الجلد من أهم أسباب الانجذاب أو النفور بين الأشخاص. فهناك روائح تسمى الفيرومونات، وهي مواد كيميائية يفرزها البشر والحيوان خلال لحظات التوتر والخوف والشهوة، لها رائحة خاصة يحملها الهواء وتصدر عن أجسامنا بشكل طبيعي. فتقبل رائحة معينة والانجذاب لها يلعب دورا

هاما في التوافق بين شريكي الحياة ويساعد في العثور على شريك الحياة المناسب، حسب ما أوضح موقع "دي فيلت".

الطيب في الإسلام:

عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: «ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله -ﷺ-»، وقد كان -ﷺ- يحرص على أن يتطيب بأطيب ما يجد من الطيب. أما حث النبي -ﷺ- أمته على التطيب فنراه في حديث أنس -رضي الله عنه- قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» رواه النسائي. وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كنت أطيب النبي -ﷺ- بأطيب ما يجد، حتى أجد ويبص الطيب في رأسه ولحيته». وعن عائشة أيضاً: «كنت أطيب رسول الله -ﷺ- لإحرامه حين يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت». رواه البخاري.

وعن عمرو بن سَليم الأنصاري: الغُسلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ وَأَنْ يَسْتَنَّ وَأَنْ يَمَسَّ طِيباً إِنْ وَجَدَ" رواه البخاري

الطيب في الأدب :

على الرغم من الحضور اللافت لحاسة الشم في النصوص الأدبية إلا أن النقاد لم يلتفتوا لها التفاهم للصور الفنية المتصلة بحاستي السمع والبصر، ففي حدود ما وقفنا عليه لم نعثر إلا على دراسات قليلة، منها دراسة يحيى الجبوري حول الزينة في الشعر الجاهلي⁽⁷⁾ ومقالة دانوتا حول العطر في الأدب المعاصر⁽⁸⁾.

لقد بقي العطر قروناً رفيق الشاعر العربي، ومكوناً أصيلاً من مكونات القصيدة الجمالية، لم تتراجع مكانته يوماً، بوصفه مكوناً عميقاً من مكونات أكثر اللحظات الشعرية الأثيرة ارتباطاً بوجدان الشاعر والمتلقي على السواء. رائحة اللحظات، ورائحة الذكريات كانت دائماً الأقرب والأحب والأكثر استحواذاً على المخيلة، تلك الرائحة التي تفنن الشعراء في اختيار أزهارها ليرشوا بها أثرى المشاهد حميمية وولها وعشقا برائحة العطر، كما في قول الأعشى:

إذا تقوّم يَضُوعُ المسكُ أَصُورَةً والزنبقُ الورْدُ من أَرْدَانِهَا شَمْلُ

وقول امرئ القيس في معلقته:

وتضحى فتيتُ المسكِ فوقَ فراشها نُؤُومَ الضُّحَى لم تَنْتُطِقْ عن تَفَضُّلِ

وفي الشعر الحديث تجاوز حضور العطر في القصائد كونه رائحة وحسب، إذ تحوّل إلى رمزية شعرية ذات دلالة مضمونية، إذ أصبحت الروائح مكوناً من مكونات الفعل الشعري لدى شعراء الحداثة فأصبحنا نطالع قصائد تحمل عناوينها إشارات لفعل شعري خاص لهذا الحضور الطاعني لروائح امتزجت بفكر الشعراء وسكنت أعماق أكثر لحظاتهم الإبداعية عمقا، في دلالة على تطور حضور العطر بوصفه فكرة⁽⁹⁾، فأصبحنا نقرأ في القصائد رائحة الأم ورائحة الأرض ورائحة التراب، ورائحة أيلول، ورائحة الغمام، ورائحة الكلمات ..

إلا أن هذا الحضور العطري كمكون شعري دلالي ورمزي، لم يتجاوز كثيراً حدود عناوانات القصائد ورصداً لأبيات تشتمل على ألفاظه، إلى دراسات مستقلة حول أثر توظيف هذا المكون في الشعر العربي.

العطر في الوجدان الشعري العربي:

رائحة اللحظات، رائحة الذكريات، فهذا امرؤ القيس في بواكير مشاهد العشق التاريخية يأسره من محبوبتيه أم الحويرث وجارتها أم الرباب رائحة المسك الممتزج بالقرنفل:

كَدَأَبِكَ مِنْ أُمِّ الْحَوَيْرِثِ قَبْلَهَا

وَجَارَتِهَا أُمُّ الرَّبَابِ بِمَاسِلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمِسْكُ مِنْهُمَا

نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنُفْلِ

وفي قوله

وَتُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا

نُؤُومُ الضَّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

وفي قول الأعشي:

إِذَا تَقَوْمُ يَضْوَعُ الْمِسْكَ أَصُورَةً

وَالزَّبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمْلُ

وفي قول

ابن هانئ الأندلسي

هَلْ مَا نَحْيِي الْأَجْرَعَ الْفَرْدَ وَاللَّوَى

وعوجاً على تلك الرسوم وعرجا

مواطنٍ هنديٍّ ثريٍّ متنفسٍ

تضوّع من أردانها وتأرجا

وابن معتوق الأندلسي:

خَفَرْتُ بسيفِ العُججِ ذمّةَ مِغْفَرِي وَفَرْتُ بِرُوحِ القَدِّ دِرْعَ تَصْبُرِي

وجلّث لنا من تحت مِسْكَةٍ خالِها كافورَ فجرٍ شقَّ ليلَ العنبرِ

رائحة الخزامى:

وفي الشعر الحديث، تجاوز حضور العطر في القصائد كونه رائحة وحسب، إذ تحول إلى رموز شعرية ذات دلالات مضمونية، لكنها مضامين عطرية، أيضاً، اشتقت من الزهر، حتى إن قصائد بأسرها عنونت بأسماء زهور أشهرها الأقحوان والريحان. نجد هذا في «الريحان» قصيدة مظفر النواب، و«زهرة أقحوان» قصيدة إيليا أبوماضي، و«زغب الأقحوان» قصيدة إدريس علوش، و«ثورة الأقحوان» قصيدة جمعة عبدالعال، و«جمرة الأقحوان» قصيدة مصطفى بدوي.

ثم أصبحت الروائح مكوناً من مكونات الفعل الشعري لدى شعراء الحداثة، فأصبحنا نطالع قصائد تحمل عناوينها إشارات لفعل شعري خاص لهذا الحضور الطاعني لروائح امتزجت بفكر الشعراء وسكنت أعماق أكثر لحظاتهم الإبداعية عمقاً في قصائد مثل «رائحة الحياة»، و«رائحة البكاء» و«رائحة المطر»، و«رائحة الكلمات» و«رائحة الأرض» و«رائحة بيضاء»، (رائحة القصائد) (رائحة الكلمات)

(رائحة اللحظات) في دلالة على تطور حضور العطر الذي أشرنا إليه سلفاً بوصفه فكرة إبداعية رافقت رحلة القصيدة العربية عبر القرون.

فهذا عدنان الصائغ يقول في قصيدته «ندم القرنفل»:

كلما هدّبت دمه حكمة الكهل

أغوته تجربة الطفل

قلت: تجيء المدينة

أشجارها ندم أخضر يفتتح تحت رذاذ النوافير، مرتعشاً

والمصاييح حافية تتسلق أعلى النوافذ

أعلى قميصك، منفتحاً للحمام يطير إلى غابة السنديان

إن القرنفل هنا تجاوز كونه زهراً يذكر لشذاه، إلى رمز للمدينة التي أصبح لها في

وجدان الشاعر إيقاع رائحة القرنفل التي يحبها

الأبعاد الدلالية لألفاظ الطيب في شعر حبيب الزبودي⁽¹⁰⁾:

توظيف الطيب في الشعر يأتي في إطار الشعريّة التي تغذي النص وتغنيه فنيا

ودلالياً، ويكشف عن جوانب قيمية وفكرية في شخصية الشاعر، فواقع الحال أن

ورود ألفاظ الطيب وما يتصل بالروائح الزكية بشكل عام لم يخرج من بوتقة هموم

الشاعر ورواه، إذ اتصل الطيب بالشعر في تعميق رؤاه تجاه مكونات نفسية رئيسة في

نفسه ووجدانه، تتصل بالمكان والإنسان والمرأة، إذ " تفوح من قصائده رائحة الشعر

حين تبدأ العلاقة الحميمة بين الشعر والمكان أو حين نلاحظ هذا الترابط بين الشاعر وبين بيئته، خليله وذكره، فنلاحظ من هنا طريقة استخدام الشاعر لكل ما له علاقة للعطر في شعره والتعامل معه كرمز شعري له دلالاته ومعانيه وأصالته، حيث تكمن فيه أصالة البلد والمكان والهوية .. فيؤدي الشعر دوره في التصوير اللغوي بمحضرة العطر وهو ييوح بسر هذا الجمال الساحر والمعطاء والملمح في آن، فالعطر رمز شعري عند الشاعر يتصل بأصالة المكان والهوية، وهو ذاكرة تعيد دفء المكان الأول... وتتصل به كذلك معاني الحب فالمكان يحال عند الشاعر واحة من عطر⁽¹¹⁾، وهو مسكون بفوح الخزامى والند⁽¹²⁾، هذا الفوح الذي يتصل بإنسانه العربي البسيط الذي يعيش في إطار هذا المكان، مع قابلية الامتداد الإنساني على مستوى الوجود والكيونة، ويتصل بنفس الوقت بعالم المرأة الحبيبة، على أن الفصل بين هذه المكونات النفسية في شعره يكاد يكون مستحيلاً، فهي تندغم معا في علائق وصلات، الرابط فيها هو الألفة والنقاء والجمال، والتوق لكل ذلك، لذا يرد الحديث عن إحداها حديثاً تلقائياً عن البقية، وخاصة في تناوله لمكويني المكان والإنسان، فالإنسان الذي يسكنه هو الإنسان الذي يعيش في المكان الذي يحبه، والمكان المألوف، هو نفسه المكان الذي يعيش عليه إنسانه المحبوب، حتى أن المرأة المطلوبة تبرز عنده في إطار مكانه الأردني خصوصاً، فالإشارات الكثيرة التي تضمنتها دواوين شعره تشير إلى اتصالها بالمكان الأردني.

حبيب يعشق المكان البكر الصافي، فهو مكان النشأة والمولد حيث البساطة والألفة والذكريات الجميلة، وهو المكان الريفي والصحراوي، حيث الصفاء والنقاء، وهو مكانه المدني، الرمز والأمل، وموئل الطموح، بجانبه الإيجابي، فالمكان المدني ورد

عنده بشكليه السلبي والايجابي، على خلاف أمكنته الأخرى، التي ترد عنده صورة إيجابية دوماً⁽¹³⁾، وعلى نفس الوتيرة السابقة، حبيب عاشق للمرأة وباحث عنها، فهي سر الأسرار عنده⁽¹⁴⁾، وهو كذلك عاشق لإنسانه الصابر المكافح الوطني الشريف المدافع عن أرضه، الذي لا يقبل استبدالها مهما كان الثمن، وهذه الثيمات العشقية هي ما سيتم الوقوف عليها تفصيلاً بعلائقها مع عطور الشاعر النفسية.

العطر والمكان:

على مستوى المكان يكثر توظيف العطر عنده في تناوله لمكانه المحلي والعربي، فهو يحب وطنه الأردني مدنه وقراه وبواديه، "الذي تتبين أردنيته الشفيفة الصادقة وعشقه لكل ما هو أردني، فمن أحلام حبيب العزيزة على قلبه أن يتغنى بوطنه الأردن. وبكل حبة تراب في هذا الوطن"⁽¹⁵⁾ فقصائده وشعره، ألفاظ وحروف عطرية ترسم صورة الوطن بأبهى صورة، وهل أجمل وأرق من العطر في إبراز معاني الجمال والشوق والحب؟⁽¹⁶⁾

قلبي فدى الأردن إنَّ قصائدي

مثل الظباء تروود في فلواته

وخلطت عطر قصائدي لما مشت

للشمس تخطبها بعطر نباته

..

قلبي ترنم بالغناء و أحرني

فلّ سأثرها على طرقاته

فترنم العشاق حين تنسموا

شجو الدروب يفوح من نسماته

كثافة المفردات العشقية المؤنسة في المقطع السابق، مثل (الغناء) (فل) (ترنم) ((العشاق) تنسموا) (شجو) (يفوح) (نسماته) تعكس حالة عشق ملتهبة للشاعر، تتكامل وتتوسع بإضفاء الجانب الشمي العطري الذي يبحث فيها حياة وروحاً. فاختلاط عطر القصيدة في المقطع السابق (شعريتها) مع عطر النبات (ذكريات المكان وبوحه) يتكامل في إبراز صورة جمالية مرئية ومشمومة للمكان، تجعل من القارئ يعيش جو الصورة على مستوى الحواس لا على مستوى التلقي النصي فقط، ولعل هذا ما يسعى له الشاعر، إذ يسعى بكل قوته لإيصال الفضاء الجمالي لمكانه المعشوق للغير.

والصورة الجميلة المتحولة إلى طيف عطري شمي يتغلغل في ثنايا روح الشاعر والمتلقي معاً، فيعيشان حالة معاشة من الانتشاء الروحي، تتكرر عنده لعاصمة وطنه "عمان" فتغدو قرنفة تنطلق إلى الحياة نمواً وعطراً ما يزيد لها ألماً على ألق⁽¹⁷⁾:

وتبرعمت عمان في قلبي قرنفة

فيا الأرض التي أحببتها

إني احبك في سكون الليل

في همس النسائم

وانتعاش الزعفران

التبرعم هنا حالة تنامي المحبة لمدينته عمان، فهو يعيش انتشاء نفسيا تعززه وتوسع مداه الرائحة العطرية للورد (القرنفل)، يختلط فيه البعد السوري مع البعد الرائحي لتعميق اثر هذه الانتشاء وهذه المحبة.

وفي مغناة حبيب "صباح الخير يا عمان" يخلق حبيب في بلده عاليا فيحيلها جنة من الروائح العطرية، لروائح نبات الخزامى المنتشر على امتداد رقعة مكانه الأردني ورائحة الندى، فتحال "عمان" صورة شميّة محسوسة لجنة السماء:

صباح الخير يا عمان

يا حنّا على حنّا

يا فوح الخزامى والندى

يا ريحة الجنة

ولعل قصيدة "خرابيش للمرأة والوطن" هي عنوان صريح لرؤاه التي تتداخل تجاه المكان والمرأة، فقد جمع فيها هواجسه تجاه هاذين المكونين، مبديا ميله لهما، فوظّف البعد العطري عن هذا مختزلا فيه كثير من هذه الهواجس والرؤى⁽¹⁸⁾:

اذكر أنا رسمنا لقيس حصانا

وأنا جعلنا هوانا

وقد أطبق الليل شعلة

تنفس ذاكره الفجر

ضمخ أرض بلادي بالعطر

هو يعيش عشقه الحالم للمرأة في فلك حالة عشقية أكبر تتصل بالمكان، ولذا يقرن الشاعر هواه للمرأة بصورة مشرقة مؤنسة لبلده، العطر هنا الذي يصبغ (ضمخ) بلاده بالأمل والشروق والضياء والجمال، هو نقطة تقاطع في رؤيته الايجابية إزاء مكنون المرأة وبلده وناسه.

وهذه الثنائية الوطن والمرأة تتحد في نفس الشاعر جزء واحدا غير منفصل في قصيدة " العالوك" كذلك، فهذا الغمر العشقي من قبل المرأة له يرد في إطار إظهار الصورة الجميلة لقريته العالوك وعشقه الشديد لها، كيف لا وهو الذي يقول: يوم القيامة سأدعو الله أن يعيدني إلى العالوك⁽¹⁹⁾، فهو يرسم صورة جميلة لمكانه العالوك، نجحت فيها الصورة العطرية من تعزيزها وتعميق أثرها على المستوى الجمالي وعلى مستوى التلقي⁽²⁰⁾:

جرارها الراعيات السمر واشغفي ... بالسكانات تباريحي وإحساسي

لكم غمرن بنفح الطيب صومعتي ... وكم تفلتن من أهل وحراس

ولذلك تكثر عنده نماذج إنسانية مضحية في سبيل الأرض التي يعشق مثل فراس العجلوني، وحمدان الهواري، وصايل الشهبان وغيرهم وغيرهم، فهي هي الأرض تستعيد حياتها بعطر التضحية التي قدمها حمدان في سبيل الدفاع عنها، الألفاظ العطرية الطبيعية النابعة من رحم الأرض في قصيده "حمدان" ليست لتعطير الجسد، بل جاء حضور الزهور والأعشاب العطرية تعطيرا لأمكنة هي في صميم اهتمام الشاعر وتتصل بمحومه وقضايا وطنه وهموم ناسه وآلامهم⁽²¹⁾:

حمدان دب الحيا في العود فابتسمت

بعد المحول، دموع العارض الهطل

وهشت الأرض بالأشجار حانية

تنغو عليها ثغاء الشاة للحمل

وفضها بارق في الليل وارتعشت

مع الضحى بشميم العشب والنفل

ومثل هذا التوظيف للعطر للتعبير عن رموز وطنية مثلت ثورة على الشكل غير
الأصيل للمكان نلمسه في قصيدة "ناي الجنوب"، فهم (نايات) تفوح بعبق الأصالة،
تقترن بأرج خيرى (ندى)، وعطري (الورد)، يشم فيها رائحة أصالة المكان البكر
(يمشي الورد في طرقاته)، ولذا تقتن بأشياء أصيلة مؤنسة كالخبز⁽²²⁾:

ولّد نديّ العود حين عرفته

يمشي الصبا و الورد في طرقاته

.. شممت خبز الناس في أنفاسه

.. لم تصدح النّايات إلا عندما

سكب الندى و الندّ في ناياته

مفردة (الناي) في المقطع السابق متصلة بالأصالة، وهي كلمة معبرة تتكرر
عند الشاعر متصلة بالمكان الريفي الصحراوي البكر، لذا فلا تترك إلا الأثر الطيب

والذكرى الجميل المتصفة بالديمومة، والمعبر عنها بـ(الند) و(الندى) فالرائحة العطرية، رائحة الذكريات واللحظات الأكثر استحواذاً على مخيلة الشاعر، تتعالق مع قطرات الندى المجازية الدالة على الخير، لتكوين صورة قريبة من القلب ثرية بالآثار الجمالية التي تتركها هذه النماذج الإنسانية في المكان، ومن هنا نفهم وصل هذه الروائح العطرية بـ(النأي) برمزيته، وظلاله الدلالية والنفسية والجمالية.

وفي قصيدة "صايل" الذي أشار إليه في مقدم القصيدة برمز الوطنية الأردنية في استشهاده في مواجهة الانكليز نجد ظلالاً للرائحة العطرة، فالعطر عنده عطر الأرض، وعطر النموذج الحي، وعطر الأصالة، فنجد ظلالاً لرائحة القهوة بدلالاتها الموحية على أصالة المكان وأصالة صايل المنبثق من ثراه⁽²³⁾:

كم باغت الليل إذ أرخى عباءته

وطاف حول خيام البدو مرتقبا

يقَلِّبُ البنّ فوق الجمر يؤنسهم

بلذعها فإذا ما استأنسوا شربا

نادتهم الأرض فامتدوا بها شجرا

وأوجبوا لنداء الأرض ما وجبا

ليس صدفة استحضار الصورة البدوية الرامزة لأصالة المكان بل للأصالة العربية، ولعلها رمز لصايل البدوي نفسه، ورائحة البن هنا التي يثيرها النموذج هي الثيمة المحورية التي يقوم عليها النص، فهي ما تجلب الأنس النفسي لساكلي هذه

الأرض، وهو لا يتشرب هذا الأنس إلا بعد أن يضمّنه لأهله وناسه، وفي سبيل هذا الأنس والاطمئنان تقدم التضحيات النفيسة. في المشهد السابق صورة شبيهة مؤنسة حملت إمكانية عظيمة في قدرتها على تقديم البعد القيمي والفكري للشاعر.

الروائح العطرية التي سكبت رائحة التضحية لنماذج الإنسانية، تعكس في مقاطع أخرى حال المكان المضحي من أجله، ففي حديثه عن المكان الفلسطيني، الذي يستأثر على الجزء الأكبر من مكانه العربي، تضحي فلسطين إنسانته تشم أي بصيص (رائحي) يوصلها بهذه النماذج العطرية (تشم)، فهي لم تعد تعتمد الرؤية المشاهدة، فهم بعيدين عنها، والرؤية العينية غير متاحة، فيأتي توظيف المفردة الشمية مناسباً لتوضح مدى التردّي الذي وصل إليه حال المكان⁽²⁴⁾:

إن أرض فلسطين من أول الدهر شامخة

تنحني الخيل عند مداخلها و تقبل أعتابها

وكان يدوخ الغزاة إذا داهموا بابها

وكانت تشم الطريق

فإن جاء أبنائها فاتحين تمدّ لهم قلبها

وتبقى الذكرى الطيبة للمكان أريج عطر عالق في قلب الشاعر، يمتزج فيه الأسى على ما آلت إليه حاله، فيتصل العطر عنده بمحوم وجدانية مكانية إنسانية، فيزيد البعد الشمّي إلى الواقع المرئي من حالة التأمل⁽²⁵⁾:

يا حادي العيس ذا شعبي وذا وطني ... ما ذاقت العين من أوجاعه الوسنا

إنّا فرشناه طيبا غامرا و ندى ... وقد ملأناه زهرا عابقا و سنى

روائح الزهور العابقة التي تملأ أرجاء المكان تومئ بحالة حب وتعلق به، لتعزيز قدرته على الوقوف في وجه مستلبيه، ولذلك يهمد الشاعر إلى توسيع رقعة هذه الحالة العشقية، وجعلها تسري في كامل أوصال مكانه، فهي (تعبق)، أي تنتشر بوضوح في كافة أرجاء المكان، وتغطي على الصورة السوداوية فيه، فأمكنته الفلسطينية التي يجبها مكلومة تعاني الظلم والاغتصاب والقتل. ولذا قد يخرج العطر وينحرف عن شكله الطبيعي المألوف، يقول⁽²⁶⁾:

فمهر البلاد التي اغتصبت أن نعطر بالدم أعشابها

هنا لم يعد التعطير بالعطر الحقيقي، بل التعطير هنا لشيء مجازي، فالشاعر يوظف بعدا تقنيا انزياحيا في سبيل تعميق الرؤية وإبرازها، فبدلاً من أن يترك العشب والزهر أثراً عطرياً في الجو، فإن الدم هو ما يمنح الأعشاب (الأرض هنا) عطرها، فحبيب يحور الشكل العطري للتعبير عن همه القومي تجاه إنسانه الفلسطيني وأرضه الفلسطينية. هذه الصورة تتكرر عند حبيب لمكانه الفلسطيني، كما في قصيدة هذي بلادي⁽²⁷⁾:

هذي بلادي بها الأحرار قد طلّعوا ... أقمّار حق أضاءت في دياجيتها

وعطروا بالدم القاني مدائنّها ... وزينوا بأمانيم بواديتها

وقد يرد العطر عنده مدغما مع روائح أخرى نفسية تتصل بالمكان، فنجد
يصل الروائح العطرية الطبيعية المألوفة مع رائحة (الأهل والأرض) عند حديثه عن
مكانه الأردني في قصيدة "سلاما على أرض الطيبين" فيختار مكونات عطرية من
متعلقات المكان (الشيخ) و(الزعفران)⁽²⁸⁾:

سلاما على وطن الطيبين

سلاما..

وأسألني وأنا أتجول ماذا دهاني ؟

وما من صفائرتثال منها إذا اقتربت منك

رائحة الأهل

والأرض

والشيخ والزعفران

لا شعر في فأس

فهو يعبر وهو في المغرب العربي عن شوقه لبلده، وأهله وناسه والمرأة الحبيبة
النموذج، ممن يعيشون على هذه الأرض.

مثل هذه النماذج لتوظيف العطر في الإطار المكاني الإنساني، تتكرر في
شعره بشكل منفصل مرة وبشكل متصل مرة أخرى، ففي المقطع السابق يأتي توظيف
العطر في إطاره الرمزي للمكان الإنساني والمرأة في آن، فهو في غربته في (المغرب) لا
يعيش أنس مكانه، وإنسانه الأردني، وفتاة بلده التي يفضل ويجب⁽²⁹⁾:

طوفا على الدار يا صاحبي

فما زال قلبي على عهده اموي الهوى

ولم تذكرت قهوتهم في الصباح

امتألت ندى وصهيلاً

وفاح الضحى زعتر وخزامى

الرائحة هنا رائحة معنوية، فهو في حالة تذكر (ولما تذكرت)، هذه الذكرى تثير في النفس انتعاشاً ونشاطاً كالانتعاش الذي تتركه رائحة الزعتر والخزامى في موسم الربيع عندما يفوح، حتى أن المفردة العطرية (فاح) بدلتها على الانتشار توسّع من دائرة الأثر النفسي للذكرى المكانية. هو متعلق بالمكان لدرجة أن أي اتصال مادي أو نفسي، ولو كان على مستوى الذكرى، يترك أبعاده الكبيرة داخل ثنايا روحه، هو عاشق لدرجة كبيرة، وتوظيف العطر هنا ساهم بشكل كبير في تعميق وتوسيع دائرة هذه الثيمة العشقية.

العطر والإنسان:

على الصعيد الإنساني يوظف الشاعر ألفاظ العطر في منح أبعاد صورية جميلة لإنسانه البسيط المكافح النقي الصابر الصادق، ولذا عندما يغيبون عنهم، فإنهم لا يغيبون عنه بشخصهم فقط، بل تغيب معهم صور وأحلام ورؤى وذكريات يختزلها الشاعر بمفردة (طيب)، إذ ينقشون حبهم بطيب تعاملهم على جدران القلوب، فيصعب على قلب حبيب نسيانهم، فيجسدهم شعراً طيباً يتسلل فوحه في أرجاء المكان⁽³⁰⁾:

كلما غابوا بكى الناي وأبكاني
وفاحت في دمي ذكرى الحبيب
يا غريب الدار يا ناي
كلانا ذاب في الوجد
فرققا يا غريب
أنت تبكي
وأنا اعجن تحت الحب للغياب
من دمع وطيب

مفردة الطيب هنا مفردة رمزية للذكرى الجميلة مع ناسه وأهله الطيبين، التي تنساب في شرايينه مع دمه، فهي متغلغلة (تفوح) تتخلل جسده وكيانه (وفاحت في دمي ذكرى الحبيب)، لعل الحبيب هنا والده أو لعله محبوبته، إلا أنه في كل الأحوال يتصل بالناس الذين ينتمي إليهم، والانتماء هنا ليس شرطا الانتماء العائلي، ولعله كذلك، بل يمتد إلى الانتماء على مستوى العيش والفكر والههم والحلم المشترك.

وهذه الصورة الجميلة المتصلة بنقاء الإنسان، والذي غلفها العطر بشيابه المؤنسة، وأبعاده النفسية الأثيرة، قد تصدر عن اتصال نفسي متشعب الأبعاد، فحديثه عن والده في قوله⁽³¹⁾:

ويا قمري
وأبي،

وحبيبي

أنا الآن افتح في القلب نافذة

واطل عليك عليك

فتغمري الطيوب

واغسل كل ذنوبي

هو حديث عن والده بصفته الوالدية (صلة القرابة والدم) وهي بنفس الوقت حديث عن صورة الإنسان الأردني الريفي النقي عموماً، فيرد تشعب الطيب وكثرته، والذي مثله الجمع (الطيوب)، ماداً مخيلة القارئ بصورة إشعاعية نابضة برائحة الجمال. من هنا جاء توظيف الشاعر للمفردة العطرية الجميلة السابقة بصيغة الجمع لتعزز هذه الصورة وتغلغلها في نفسه، فهي تغمره (تغمري)، تغمر نفسه بفيض من الانتعاش الروحي لأنها تتصل برائحة نفسية إنسانية ومكانية شكلت جزءاً أصيلاً من نفسه ورؤاه، وتقترن هذه النفحات العطرية النفسية الدالة على تعلقه بآبيه الحقيقي والرمز، بروائح نفسية أخرى مثل رائحة القهوة ورائحة الخبز، لتعميق اتصاله العاطفي ومحبه الكبيرة يقول⁽³²⁾:

أبي في المضافة

والقهوة البكر مع طلعة الفجر عابقة بالمحبة

...

ورائحة الخبز فوّاحة وحليب النعاج

تكثيف الصور الجميلة المؤنسة المعبر عنها بالروائح والألفاظ العطرية (عابقة) (رائحة) (فَواحة) يمنح فضاء امتداديا للبعد الجمالي الكلي، فهي كلها ألفاظ انتشارية ممتدة، توسع دائرة الأثر النفسي الذي تتركه صورة الإنسان الريفى البسيط النقي في نفسه، والتي يحرص على إيصالها للمتلقى نفسه.

الشاعر نفسه لا يخرج من بوتقة هذه الصورة الإنسانية للمواطن الذي يحمل هموم الوطن، ويشقيه كل ما يعكر صفوه أناسه البسطاء الذين ينتمي إليهم، لذا ترد تلك الروائح العطرية نفسا شعريا يرسم بها الشاعر أثرى الصور المكانية والإنسانية المؤنسة، وبنفس الوقت تعزز عمق الألم الذي يعانيه بحسه الشاعر في سبيل المحافظة على هذه الصور، فيصوغ من صوت الطبيعة البكر نايًا يسكنه ويستبّيح عذابات⁽³³⁾:

ناي البراري ما الذي أغواك يا ناي البراري

.. وحملتني يا ناي أغنية على كفين من قمح ونار

وندى وند ، طاب فوحهما على شمس وغار

فمشيت لم تسعف خطاي و سرت لم يسعف مساري

ودنوت من لغتي ومن حبق ييوح على الجدار

ويؤوظف العطر عند حبيب في إطار توكيد الرؤية الإنسانية الوطنية العرارية تجاه الإنسان و المكان المماثلة لما هو عند الشاعر نفسه⁽³⁴⁾:

ابعد ظلالك عن كلامي ... إني عبدتك ألف عام

.. اليوم لي لغتي وترعى في مفاليها رثامي

.. ولذا قتلتك في نهارى واحتضنتك في منامى

وشممت جرحك في ثيابى واتقادك في ضرامى

.. وشممت عطرك في ثيابى واتقادك في غرامى

في كل فاترة العيون وكل فاترة القوام

الخروج الذي أشير إليه على نموذج العراري⁽³⁵⁾، هو خروج شعري لا خروج رؤيوي (ابعد ظلالك عن كلامي) (اليوم لي لغتي)، بينما الرؤية بصيغتها الإنسانية واحدة، فمصدر الهم الإنساني والمعاناة إزاء المكان وساكنيه شيء واحد فهو يقتل عرار الإنساني الوطني نهاراً، لكنه يحتضنه ليلاً، و(يشم) جرحه وعطره في ثيابه، اختيار عطر النموذج ووصله بثوب الشاعر يمثل بعداً انزياحياً يحقق معنى اتصالياً على مستوى الفكر، فالعطر يمنح بعداً رمزياً دالاً يختزل أبعاداً متعددة تتصل بالإنسان النموذج، وبنفس الوقت تؤكد وتعزز البعد الرؤيوي لدى الشاعر.

العطر والمرأة:

للعطر روابط وثيقة مع الجمال وبهجة الحياة، ففي جانب آخر يرد توظيف ألفاظ العطر في شعر الزيودي في توسيع دائرة الحب واستظهار الأثر النفسي لحضور المرأة، فقد أغدق على المرأة نسماته العطرية وروائح الفواحة، فرسم بالعطر صوراً اكتمالها، وأضفى بالطيوب هالة أنسها وهنائها، فالمرأة لحبيب هي تعويض لصورة أمومية، ولحنان مفقود، ولسكينة نفسية، فالبسها ثوباً يحمل عبق رائحة الماضي المؤنس، "فحرماته المبكر من والدته، وما تلا ذلك من خيبات هي التي بددت روحه،

وقوضت إحساسه بجمال الحياة، فضجّت روحه بالحنين إلى السكينة، فكانت المرأة هي سر الأسرار ونور الأنوار في حياته، وانطلق يبحث عنها بطريقة مدهشة، وغنى لها طويلا وانحنى في محرابها، لكنه في جوهر فطرته كان يعلم انه يلهث وراء السراب،.. وأنها تسربت من بين يديه، وان استرجاعها هو محتته الكبرى في الحياة، فصحت عزيمته على استرجاعها من خلال الشعر⁽³⁶⁾، فهو مغني للمرأة في الشارع الغربي، يفوح بخوره العشقي لتلك النوافذ، ينشر مشاعره شعرا يفوح عبر الشوارع والنوافذ ليصل المحبوبة⁽³⁷⁾:

في الشارع الغربي نافذة تسيل على ستائرها

الأغاني

فأنا مغني الشارع الغربي

تعرفني النوافذ في المساء

وحين أبدا بالغناء أذوب في دمعي ويخذلني لساني

للشارع الغربي فوّحت البخور

نسجت أغنية بعشر جدائل خضراء

وفي قصيدة "امرأة" ييث رؤاه تجاه المرأة، فالمرأة صورة حاملة جميلة منعشة، تثير

انتعاشة وشغفه، وأبعادا نفسيه أصيلة مؤنسة في نفسه، ساهمت مفردة (طيب) في اختزال هذه المعاني وهذه الأبعاد⁽³⁸⁾:

هي امرأة من نعاس وطيب

أغني لها حين تأتي

أضيء لها الشمع حين تغيب

العطر عنده منحاً صورياً، فهذه التضمينات العطرية الصورية ترتبط دوماً بالحقل الدال على التطلع على عالم الحب والمرأة، فهو يرسم صوراً أنثوية يرد (العبير) العطري فيها، كما في المقطع التالي، جزءاً من المكون الجمالي لصورة المرأة المتغلغلة في نفسه⁽³⁹⁾:

من أول الليلة وهو يمزج الألوان

يصوغ بالفرشاة شعرها الحرير

وينفق الساعات منهكا نشوان

حتى تكور الرمان

وفاضت اللوحة بالعبير

الجمالية في المشهد السابق تكمن في تضمين حاسة الشم، فنحن أمام لوحة شمية، يمنح العطر فيها مع المكون اللوني معاني الحياة والابتعاث والازدهار، والألق فيعكس حالة النشوة والانتعاش التي يعيشها الشاعر في تلك اللحظة الحاملة، ولعل في استخدام الشاعر لمفردة (فاضت) المتصلة بالعطر (العبير) تكثيف وتعميق لحالة النشوة النفسية والأثر الوجداني الناجمان عن الاحتكاك بعالم الأنثى.

من هنا، فقد اكتسب الشعر بالعطر ثوباً مزركشاً رامزاً، ضمّخته بنكهة الأنس ونفحات الحب الأنثوي، فانتشى بنفحات حب وانس وجمال شديدة، فأضفت إليه

شعريته وزادت من تألقه وتوهجه، فهو يلبس المرأة رائحة الورد، والطيب لتسعد بها روحه المكشوفة من الحرمان، فيستنشقها عطرا شعريا، ويبرز بشعره عاشقا من عشاق هذا الجمال.

والنظرة الاستقصائية في شعر الزيودي تكشف انتشارا ممتدا للوحات الشعرية التي تدور في فلك الحب والمرأة، والمصبوغة بعطرها، على امتداد دواوينه الشعرية وأشعاره المغناة، حتى أنه قد خصها بقصائد معينة في ديوانه طواف المغني، أطلق عليها "أغاني الشارع الغربي"، ابتكر لها عطرها الخاص، ومزجه شعرا مع عطوره الأخرى التي استلهما من أريج المكان وذكرى الأهل.

المرأة هي غلالة عطرية للشاعر سكنت روحه طوعا وكرها، فهي رائحة لعطر الماضي وذاكرة شمّية لذكرى أمه، وهي تجسيد لحالة البحث عن السعادة في إيقاع الحياة وبهجتها، والتي تشكل المرأة جزءا أصيلا فيها.

التشكيل الفني لألفاظ الطيب في شعر حبيب:

على مستوى التشكيل الفني فإن حبيب يعتمد عدة تقنيات في توظيف المفردات العطرية وألفاظ الروائح، وهذا التشكيل ساهم في إغناء النص وإبراز شعريته، فنلمس عنده التكرار لمثل هذه المفردات العطرية الشمية من مثل مفردة الياسمين المكررة عنده خمس مرات، مرة في حواريته في قصيدة "أتجنّبني"⁽⁴⁰⁾:

- أتريدني

- حذر ينمنم في الأصابع

كي الم عن الضفائر ياسميني

وأربع مرات في قصيدة "درج الياسمين"⁽⁴¹⁾:

فأشيل ذراعي مرتبكا

كلما ناظرتني أو ابتسمت لي

على درج الياسمين

وقالت بعينين لوزيتين

خذ الياسمين وخذني إلى الشعر

.. وكنت هناك على درج الياسمين

أرواغها ثعلبا

توظيف الشاعر التكرار للمفردة السابقة يكشف عن هم أساسي مضمّر في نفس الشاعر، إذ أن ورود مفردة الياسمين في المقاطع الشعرية السابقة يدور في فلك المرأة الأنثى، فالشاعر مسكون بهاجس الأنثى، يعاني شغف الحصول عليها، حتى انه ينسب هذه المفردة لنفسه في قصيدة "أتحنّي"، فهذا الياسمين الأنثوي العطر خاص به فيصل المفردة العطرية بياء المتكلم الدالة على الملكية (ياسميني)، يقول⁽⁴²⁾:

خدر ينمنم في الأصابع

كي الم عن الضفائر ياسميني ؟

التكرار هنا ساهم في تعميق رؤى الشاعر إزاء هذا المكون الرئيس عنده والكشف عن طبيعة هذه الرؤية.

مثل هذا التكرار نلمسه بروائح عطرية طبيعية من رحم المكان مثل الورد، والنفل، والأزهار، والقهوة، وروائح عطرية غير طبيعية لكنها تتصل بالموروث الشعبي مثل الند، حيث تتكامل مع مفردة الياسمين، في استجلاء صورة شمية جمالية قارة في نفسه تتصل بعالم المكان والإنسان المرأة، ففي قصيدة "ولع" يوظف الشاعر (النفل) كمفردة عطرية تمتاز بخاصية نفاذ الرائحة في موسم الربيع والخضرة، التي تغطي على ما سواها من أزهار، للتعبير عن حالة وله بعالم الأنثى، فهي تتمدد في ثنايا روحه كما تنتشر رائحة النفل، فلا يحدها شيء من التغلغل والانتشار⁽⁴³⁾:

الأسرار

التي تخفيها الحبيبة عني

تحت رقات جفونها

أو تخبئها في حقيبتها المكتظة

بمكائدها الأنثوية

وأنا مولع بنفلها

كلمة (مولع) الكثيفة الدلالة اختزلت العديد من مشاعر الالهفة والميول والانجذاب والعشق للمرأة وما يتصل بها هالة جميلة (نفلها)، و(النفل) من زاوية أخرى نوع من الاتصال بمحسوس الإنسان والأرض التي يعشقها وهمومها، فهي هي الأرض تدب فيها الحياة وتضوع برائحة النفل والعشب، بعد أن تسكنها أجساد أبنائها⁽⁴⁴⁾:

وهشت الأرض بالأشجار حانية

تنغو عليها ثغاء الشاة للحمل

وفضّها بارق في الليل وارتعشت

مع الضحى بشميم العشب والنفل

وقد يصوغ مفرداته العطرية بصيغ الأفعال الماضية المضعفة مثل (ضمّخ) و(فوّحت) (ضوّع) عطر)، ما يشي بقصديه فاعلية لإبراز الأثر العطري، فالعطر مثلاً لم يفح من نفسه، بل هناك من فوّحه، ولعل ذلك اختيار قصدي من الشاعر لتكثيف هذا الاهتمام بأرضه وناسه الطيبين البسطاء من ناحية، والمرأة من جانب آخر، فهو يعتمد إلى توسيع نطاق الصورة الجميلة وتكثيفها للأشياء التي تسكن نفسه ووجدانه وفكره.

وتكثيف الصورة وإبرازها وتوسيع نطاقها يبرز من خلال تكثيف المفردات العطرية حيث يمكن رصد العديد من هذه الألفاظ الدالة المتصلة بالطيب والروائح عند حبيب فهناك: الزعفران، النعناع، العطر، ضمّخ، العطر، القرنفل، الورد، فوّحت، البخور، طيب، زهراً، عابقاً، وردة، تشم، نعطّر، قهوة، فاح، زعتراً، خزامى، رائحة، القهوة، عابقة، فوّاحه، الطيوب، ضوّعت، أزهارى، طيب، عطّروا، شممت، سكب، الندّ، عطر، بعطر، فلّ، تنسموا، يفوح، الورد، رائحة، بن الصباح، سكبت، ندّ، حبّق، البن، نفل، الياسمين، ياسميني، الأزهار، أتشمم، شميم، العشب، النفل، يشم، النعناع، الياسمين، الياسمين، اشم.

وعلى مستوى الألفاظ والتراكيب تنوعت صيغ الأفعال المتصلة بالعطر عنده ما بين صيغ الماضي (ضمّخ ، فوّحت، عطّروا، شممت، سكب، تنسموا، سكبت) والحاضر (تشمّ، نعطّر، يفوح، أتشمم، يشم، اشم)، ولعل التنوع في صيغ الأفعال

يشي بحالة تعلق متصلة منذ الماضي ممتدة حتى الزمن الحاضر والمستقبل، فهي تبرز حالة تأكيدية لتعلق الشاعر بهذه المكونات النفسية على الدوام.

كما يلحظ تركيز الشاعر على أفعال دون سواها، فيكثر عند الشاعر مفردات عطرية مشتقة من الجذر (شمم): أتشمم، يشم، أشم، شمت، تشم، لعل ذلك يعود لكونها مفردات عطرية عامة تتماشى مع كافة أنواع العطور والطيوب، بل والروائح بمجملها.

نتائج البحث:

لعل أول ما يلفت النظر هو قلة الدراسات التي تناولت العطر في الأدب، إذ لم يقف الباحث، بحدود ما قرأ، على كتاب اختص في دراسة الطيب أو العطر في الشعر، وجل ما تم الوقوف عليه هو مباحث فرعية في إطار الدراسة ككل، كما في كتاب السبع المعلقات لعبد الملك مرتاض، إلا أن هناك من تناول هذا الجانب ولكن في إطار البحث أو المقالة كما هو مثبت في عناوانات بعض المراجع لهذا البحث.

لا يتصل العطر عند حبيب إلا في إطار المكان المؤنس الأليف والمرأة، فمجموعته الكاملة "ناي الراعي" كما ديوانه "غيم على العالوك" يضم قصائد تعكس تجربة الشاعر، الذاهب إلى آخر فاصلة في كتابته، في التغني في المكان الذي تذوب على هوامشه مفاهيم الإنسان والطبيعة والزمان والوعي⁽⁴⁵⁾. مرة في إطار إيجابي حالم منعش ومزود بالطاقة والحياة من خلال تفعيل الحواس، "تفعيل الحواس من أفضل الطرق للحفاظ على لإبقاء الإنسان في حالة تأهب وحياة"⁽⁴⁶⁾، ومرة انعكاس سلبي، في إطار ما يهدد هذا المكان المؤنس وهذه المرأة أو فقدهما. العطر عند حبيب لا يغادر

الصورة النفسية، فلا يرد العطر عنده بصورة مادية، ولذا جاء تعبيراً عن رؤى، واستحضاراً لذكریات وأحلام ومواقف وصور جميلة.

نجح حبيب في توظيفه لمفردات الطيب والروائح في استحضار أبعاد تفصيلية تترك أثرها في نفس المتلقي، وتجعله يستشرف الصورة الجميلة للمقومات الرئيسة التي دار حولها شعره (المكان/الإنسان/المراة)، ويعيش مشهداً محسوساً على مستوى الرؤية العينية والشم.

هناك تكثيف للمفردات العطرية في ديوان غيم على العالموك، فهي تقارب ما ورد في مجموع دواوينه الثلاث في أعماله الكاملة المسماة "ناي الراعي" كما إن هذه المفردات العطرية موظفة بشكل فني عميق في هذا الديوان، ولعل ذلك يعود إلى استواء تجربة الزيودي الشعرية في هذه المرحلة، إذ اتضحت مشاعره وتبلورت رؤاه إزاء الأشياء، ولعله مما نلمس من إشارات في شعره قد تنامي لديه الإحساس بالفقد والحنين واليأس أكثر.

تتصل المفردات العطرية بالمكان أكثر من أي مكون آخر تمت الإشارة إليه، ما يشي برسوخ المكان في مخيلة الشاعر، وما يعبر مدى التعلق النفسي به، فهو يشكل لهم الأكبر الذي يسكن وجدانه وهواجسه تندغم الصورة العطرية مع الصورة الكلية بحيث لا تشكل نشازاً فيها، بل تنساب بوتقتها مولدة طاقة إيجابية ومادةً إياها بتوهج فني ودلالي. فلا تأتي صورة منفصلة ولا موضوعاً مستقلاً، ومن هنا فإننا لا نجد عنوان يتصل بالمفردات العطرية، إذ يرد توظيف العطر في إطار تعميق رؤى الشاعر إزاء موضوعات رئيسة.

تقترن ألفاظ الدالة على العطور بروائح ذات سمة نفسية مثل رائحة الخبز والعشب والأهل، والأرض، والدم، والأيام، والدرج وهذه يعزز القول في مجيء العطر لتعميق جوانب فكرية تتصل بالمكان والإنسان والمرأة.

ينوع الزيودي بين توظيف مفردات عطرية مثل (العطر، البخور، الورد، الطيب) أو مفردات تتصل بغيره لكنها من متعلقاته الدالة عليه مثل (ضوع الحروف، يفوح من نسماته، رائحة الخبز، رائحة الأهل).

إن توظيف الطيب والألفاظ العطرية والشمية في شعر حبيب، ساهم بلا شك في تعزيز شعرية القصيدة، وأضفى أبعادا فنية عززت من الأثر الشعري في توسيع أفق الدلالة ودائرة الجمال، وترك أثره النفسي في إطار عملية التلقي.

الهوامش:

1. انظر: زودنتيسكا، آدمون، العطور، ترجمة م. ميشيل خوري، دار طلاس للدراسات والنشر ، ط1، 1992، ص11، 12، 36. وعمر، مُجَّد، أسرار صناعة العطور، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع، القاهرة، 2002 م، ص5، 13، 14.
2. عمر، مُجَّد، أسرار صناعة العطور، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002 م، ص5، 13، 14.
3. خلوي، د. شميصة، لمحات السحر فيما قيل عن الروائح والعطر، شبكة الألوكة الثقافية، 10/ 6 / 2012 م.

4. انظر: الرقاء، السري بن احمد الكندي، الحب والمحبوب والمشموم والمشروب، تحقيق مصباح غلا ونجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986، الفصل الثالث المعنون ب "أوصاف الربيع" والمختوم بمشموم الطيب من المسوك والعنابر والكوافير والأعواد والغوالي .
5. زودنتيسكا، آدمون، العطور، مرجع سابق، ص 12
6. انظر: الجبوري، يحيى، الزينة في الشعر الجاهلي: زينة الطيب والعطور، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد السادس، 1983، جامعة قطر، ص203، 206، 207
7. الجبوري، يحيى، الزينة في الشعر الجاهلي: زينة الطيب والعطور، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد السادس، 1983، جامعة قطر، ص203، 206، 207.
8. فيجلستد، دانوتا، الكريه والعطر في الأدب المعاصر، مجلة الدوحة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، العدد 90، ابريل، 2015 م .
9. لعبي، شاعر، العطر، مجلة القافلة، أرامكو / السعودية، صيف 2001/7/30 م، وانظر: مرتاض، عبد الملك، السبع معلقات: مقارنة سيميائية/انثروبولوجية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، في باب الزينة والتزيين في المعلقات : العطر و التعطرّ في المعلقات.
10. حبيب الزبيدي شاعر أردني له مكانته في المشهد الأدبي في الأردن، ولد في بلدة الهاشمية قرب الزرقاء سنة 1963 وتوفي سنة 2012، له عدد من الدواوين جمها في مصنف تحت اسم (ناي الراعي) وأصدر قبيل وفاته ديوانه الأخير (غيم على العالوك) والعالوك بلدته التي فيها عاش ودفن. ثم قام الباحث د. عمر القيام بجمع أشعاره وأصدرها في مجلد واحد تحت عنوان: راهب العالوك : الأعمال الشعرية الكاملة ، 2015
11. عبد العال، باسل، رمزية العطر والرائحة في القصيدة : دلالة على الحياة والفرح والدهشة ، الموقع الالكتروني <http://basilabdul.blogspot.com/2015/09/blog-post.html>
12. هذا القول للدكتور عمر القيام في حوار معه حول البحث على موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك).

13. انظر: الشرفات، عبدالله، المكان عند عرار وحبيب الزيودي، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، 2015، المبحث الأول في الفصل الثاني من الرسالة، المعنون بـ "صورة المدينة ودلالاتها".
14. انظر: القيام، عمر، ناي الراعي: نظرات في شعر حبيب الزيودي ، دار البشير ، عمان ، 2000م، ص 11
15. عوض، سميرة ،الشاعر الأردني حبيب الزيودي : ناي بلاده، صحيفة القدس العربي، 1-11-2012 م
16. غيم على العالوك ، ص 102، 104
17. ناي الراعي ، ص 15
18. ناي الراعي ، ص 86
19. الجبور ، محمود ، مع حبيب الزيودي في فيرجينيا ، مجلة أفكار ، وزارة الثقافة ، عدد كانون الأول ، 2014 ، ص 108
20. ناي الراعي ، ص 351
21. غيم على العالوك ، ص 52
22. غيم على العالوك ، ص 101
23. غيم على العالوك ، ص 59، 60
24. ناي الراعي ، ص 279
25. ناي الراعي ، ص 224
26. ناي الراعي ، ص 279
27. ناي الراعي ، ص 266
28. ناي الراعي ، ص 301، 302
29. ناي الراعي ، ص 296
30. ناي الراعي ، ص 263
31. ناي الراعي ، ص 317
32. ناي الراعي ، ص 305 ، 306

33. غيم على العالوك ، ص 85
34. ناي الراعي ، ص 382 ، 385
35. يمكن الرجوع في ذلك الخروج الشعري على عرار لبحث الدكتور غسان عبد الخالق المعنون بـ " بين عرار وحبيب الزيودي كيف تجاوز الابن أباه "
36. القيام ، عمر ، ناي الراعي ، مرجع سابق ، ص 11، 13
37. ناي الراعي ، ص 173
38. ناي الراعي ، ص 192
39. ناي الراعي ، ص 376
40. غيم على العالوك ، ص 30
41. غيم على العالوك ، ص 27، 28
42. غيم على العالوك ، ص 30
43. غيم على العالوك ، ص 64
44. غيم على العالوك ، ص 52
45. عوض، سميرة، الشاعر الأردني حبيب الزيودي : ناي بلاده ، صحيفة القدس العربي، العدد 7272 ، 1-11-2012 م
46. انظر: الردايدة ، إسراء ، مقالة تتضمن ترجمة لمقتطفات من كتاب روبن ويستن "عشرة أيام لتخليص جسمك من السموم"، جريدة الغد، عمان، الأحد 27 شباط 2011.

المصادر:

1. الزيودي ، حبيب ، ناي الراعي ، وزارة الثقافة ، عمان ، 2009 م .
2. غيم على العالوك ، المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي) ، 2012 م .
3. راهب العالوك الأعمال الشعرية الكاملة ، جمعه عمر القيام ، 2015م.

المراجع :

1. الجبور ، محمود ، مع حبيب الزيودي في فيرجينيا ، مجلة أفكار ، وزارة الثقافة ، عدد كانون الأول ، 2014 .
2. الجبوري ، يحيى ، الزينة في الشعر الجاهلي : زينة الطيب والعطور ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم .
3. خلوي، د.شميسة ،لمحات السحر فيما قيل عن الروائح والعطر ، شبكة الألوكة الثقافية ، 10 / 6 / 2012 م <http://www.alukah.net/culture/0/41696>
4. الردايدة ، إسرائ ، مقالة تتضمن ترجمة لمقتطفات من كتاب روبن ويستن " عشرة أيام لتخليص جسمك من السموم " ، جريدة الغد ، عمان ، الأحد 27 شباط 2011.
5. الرقاء ، السري بن احمد الكندي ، المحب والمحبوب و المشموم والمشروب ، تحقيق مصباح غلا ونجي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، 1986م.
6. زودنتيسكا ، آدمون ، العطور ، ترجمة م. ميشيل خوري ، دار طلاس للدراسات والنشر ، ط1 ، 1992.
7. الشرفات ، عبدالله ، المكان عند عرار وحبيب الزيودي ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ، 2015 م.
8. عبد العال ، باسل ، رمزية العطر والرائحة في القصيدة : دلالة على الحياة والفرح والدهشة ، الموقع الالكتروني <http://basilabdul.blogspot.com/2015/09/blog-post.html>
9. عمر ، نُجْد ، أسرار صناعة العطور ، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2002 م.
10. عوض ، سميرة ، الشاعر الأردني حبيب الزيودي : ناي بلاده ، صحيفة القدس العربي ، العدد 7272 ، 1-11-2012 م .

11. فيجلستد ، دانوتا ، الكريه والعطر في الأدب المعاصر ، مجلة الدوحة ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، دولة قطر ، العدد 90 ، أبريل 2015 م.
12. القيام، عمر، ناي الراعي: نظرات في شعر حبيب الزبيدي ، دار البشير، 2000م.
13. لعبي ، شاكر ، العطر ، مجلة القافلة ، أرامكو / السعودية ، 2001/7/30 م .
14. مرتاض ، عبد الملك ، السبع معلقات : مقارنة سيميائية / انتروبولوجية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998.

Sources

1. al-Ziyūdī, Ḥabīb, Nāy al-Rā'ī, Wizārat al-Thaqāfah, 'Ammān, 2009 M.
2. Ghaymun 'alā al'ālwk, al-Mu'assasah al-Ṣuḥufīyah al-Urdunīyah (al-ra'y), 2012 M.
3. Rāhib al'ālwk al-A'māl al-shi'rīyah al-kāmilah, jama'ahu 'Umar al-Qayyām, 2015m.

References

4. al-Jubūr, Maḥmūd, ma'a Ḥabīb al-Ziyūdī fī Fīrjīniyā, Majallat afkār, Wizārat al-Thaqāfah, 'adad Kānūn al-Awwal, 2014.
5. al-Jubūrī, Yaḥyá, al-zīnah fī al-shi'r al-Jāhilī : Zaynah al-Ṭayyib wāl'ṭwr, Ḥawlīyat Kullīyat al-Insānīyāt wa-al-'Ulūm.
6. Khlwy, D. Shumaysah, Lamaḥāt al-siḥr fīmā qīla 'an alrwā'h wa-al-'iṭr, Shabakah al-Alūkah al-Thaqāfīyah.
7. al-Radāyidah, Isrā', maqālah tataḍammanu tarjamat lmqṭṭfāt min Kitāb rwnb wstn "ashrah Ayyām li-takhlīṣ jismik min al-sumūm", Jarīdat al-Ghad, 'Ammān, al-Aḥad 27 Shubāt 2011.

8. Alrffā', al-sirrī ibn Aḥmad al-Kindī, al-muḥibb wālmḥbbw wa almsmwm wālmshrb, taḥqīq Miṣbāḥ ghalā wnjy, Maṭbū'āt Majma' al-lughah al-'Arabīyah, Dimashq, 1986m
9. Zwdntyskā, Admūn, al-'Aṭūr, tarjamat M. Mīshīl Khūrī, Dār Ṭalās lil-Dirāsāt wa al-Nashr, Ṭ1, 1992..
10. al-Shurfāt, Allāh, al-makān 'inda 'Arār wḥbyb al-Ziyūdī, Risālat mājistīr, Jāmi'at Āl al-Bayt, 2015 M.
11. 'Abd al-'Āl, Bāsil, Ramzīyah al-'iṭr wālra'ḥh fī al-qaṣīdah : Dalālat 'alā al-ḥayāh wa-al-farah wa-al-dahshah, al-mawqi' al-iliktrūnī..
12. 'Umar, Muḥammad, Asrār ṣinā'at al-'Aṭūr, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah lil-Nashr wa al-Tawzī', al-Qāhirah, 2002 M.
13. 'Awaḍ, Samīrah, al-shā'ir al-Urdunī Ḥabīb al-Ziyūdī : Nāy blādh, Ṣaḥīfat al-Quds al-'Arabī, al-'adad 7272, 1-11-2012 M.
14. Fyjlstd, dānwtā, alkryh wa al'ṭir fī al-adab al-mu'āṣir, Majallat al-Dawḥah, Wizārat al-Thaqāfah wa al-Funūn wa al-Turāth, Dawlat Qaṭar, al-'adad 90, Abrīl, 2015 M.
15. al-Qiyyām, 'Umar, Nāy al-Rā'ī : Naẓarāt fī shi'r Ḥabīb al-Ziyūdī, Dār al-Bashīr, 2000M.
16. Lu'aybī, Shākir, al-'iṭr, Majallat al-qāfilah, Arāmkū / al-Sa'ūdīyah, 30/7 / 2001 M.
17. Murtād, 'Abd al-Malik, al-sab' Mu'allaqāt : muqārabah sīmiyā'iyah / antrūbūlūjīyah, Manshūrāt Ittiḥād al-Kitāb al-'Arab, 1998.